الدكتور الزين عباس عمارة

مع رياح العودة

دار الثقافة
بيروت - لبنان

نشـر وطبـع
دار الثقـــافـة
بيـروت ـ لبنـان
١٩٦٩

الإهداء

إلى أنصار السلم ...
والعدل ... والمحبة ...
إلى دعاة الحرية ... والاشتراكية ...
في كل زمان ومكان ...
بمناسبة انعقاد مؤتمر السلم العالمي
في الخرطوم.

مقدمة

بقلم الأديب الكبير

عمر الحاج موسى

وزير الإرشاد القومي

بين يدي ديوان شعر .

ديوان (مع رياح العودة) يضم مجموعة شعرية نشرها صاحب الديوان في الصحف السيارة حسب التواريخ المثبتة تحتها تغطية للضرورة الوثائقية واذكاء لروح البحث لدى الناقد الواعي والقارىء المتأني .

ولقد قرأت الديوان مرة .. ومرة ووقفت وقفة تأمل طويلة اجتلي الصور التي انطبعت عندي واستشعر ابعاد هذا الانطباع .

لذلك فانا لن اعني وأنا اكتب عن هذا الديوان بتقييم الشاعر ومكانته من شعرائنا وانما سأعني بالشعر نفسه وبالاشارة للصور الرمزية والجمالية كأداة للتحليل ومنهج في التقيم دون وضع صورة ذهنية سابقة قد تحجب عن القارىء وضوح الرؤيا وتشوه شفافية الحس الفني .

والديوان في مجموعه يعرض لك الوانا متباينة بعضها عاطفي وبعضها اجتماعي وبعضها سياسي بصرف النظر عن تباين الخصائص واختلاف التقنية وفي مجموعه يعرض لك اسلوب الزين ومنحاه الفكري تلمحهما بوضوح شائع في كل قصيدة . وقد تسترعي انتباهك مرارة شائعة ايضا وهذا ما لا نستطيع الحكم عليه لان الشعر انعكاس لحالة نفسية يعيشها الشاعر وقد عبر عنه بالجودة التي جذبتنا اليه .

ان رنة الحزن والمعاناة التي تكشف ازمة الجيل المعاصر في انصياعه الجبري الذي لا يقاوم للشجن الفردي تظهر بوضوح في نزوعه الحاد الى شرخ (الجدار) الذي يمثل الرمز الاكبر في شعره (الجدار والموت) الخ ... من الرموز التي تجسد الصراع بين التجربة المتمثلة والواقع المعاش وربما كان الشاعر في ممارسة حياته المهنية اكثر احساسا بوطأة التحولات العصرية على نفسية الفرد فجسم المأساة بالشكل المفجع الذي وصل حد الانهيار .. انه قلق الانسان الغريزي ضد كل اشكال الخطر الماثل امام تطلعات انسان القرن العشرين .

ولذا كان اول ما وقفت عنده صورة الحيرة والتردد (والضياع) رسمت بدقة في قصيدة (وقفة وعتاب) و(البنوّة والسقوط) الخ .. انه ينبغي ان اقول ان معرفتي الشخصية للزين وحبي لشعره واهتمامي بكتاباته لسنوات طويلة خلت قد يكون من عيوبي في تناول ديوانه بالنقد فانني بالضرورة منحاز ومأخوذ بحكم مسبق علي نتاجه الشعري الذي طالعته

قبل نشره وكونت فيه رايا يدور في هذا الاطار ولقد حاولت كثيرا ان اقسو على نفسي وعلى الشاعر قبل بدء الكتابة وحاولت بالتالي الا ابالي بالاولى وان احذر الثانية . فالاولى مشروطة بالفعل والارادة والثانية مرتبطة بالحس والعاطفة والحواس هي النوافذ التي نطل منها على العالم فنحرك اصابعنا ونفتح عيوننا ونرهف آذاننا عندما يفاجئنا بقصيدة تتصيد اخطاءنا بملقاط الحاجب وتلفت انظارنا بوخز الابر مثل قصيدة (طفل غانية) ان الحياة الارضية تفرض نوعا من السلوك وثيق الصلة بالارض والطبيعة في عالم تسيطر عليه فضائل اولئك الذين خاضوا بحارا واسعة من التجارب الانسانية وضغطوا على كافة شهواتهم يسوقهم نزوعهم الصوفي الى حظيرة الفردوس واذا لم تكذبني الذاكرة فان قصيدة (أشباح الحانة) في ديوانه (الضياء والحريق) صدى مماثل لهذا الاتجاه .

لقد ازداد في الايام الاخيرة عدد الاقلام التي تلوح بالكارثة الفردية والتحولات العصرية نتيجة التلف الحضاري الذي اصاب صمام الاسرة فالشاعر كرف وبدر شاكر السياب في (مدينة بلا مطر) و(المومس العمياء) وغيرهم اخرون يمموا وجوههم شطر هذا الاتجاه الانساني في تعرية الدوافع الاجتماعية والاقتصادية اكثر من مجرد الانغماس في فلسفة الرذيلة والفضيلة دون وجود مبررات لانحراف الام وسلامة الطفل . انها نزوع فاضل الى الخلاص وايجاد مناخ بشري صالح لنمو بذرة كانت ثمرة خطيئة .

هذه هموم كل حي في شرقنا المعاصر : ادبـــاء وكتاب يحاولون فصل الالوان القزحية وفك الرموز والطلاســـم المحيطة بالموروثات وتفتيت الجدار المثقوب الذي اوشك ان ينهار على مجتمعنا القديم حتى ينطلق الفرد من عقاله بحثا عن ارض الطهر والسماحة مرددا قولة المسيح عليه السلام (من كان منكم بغير خطيئة فليرمها بحجر) .

ان من مآخذي على الزين انه لا يحفظ شعره كتابة او في الذاكرة مما اضاع عليه الكثير في ديوانه الاول والـــذي اسقط من حسابه قصائد ذات قيمة موضوعية اكثر التصاقا بوجدان القارىء الذي طالـع نتاجه الشعـري في الصحف وحفظ بعضه ووعاه وخاب ظنه عندما جرى بنظره سريعا في صفحات(الضياء والحريق) بحثا عن كنزه المفقود وخاب مسعاه. ولعل من محاسن هذا الديوان انه يضم بعض القصائد التي بحث عنها كثيرون وانا منهم فلم يفلحوا في الحصول عليهـــا ولعل الزين نفسه قد وجد ضالته المنشودة .

ان قصيدة مثل (ذات الضفائر المجنحـــة) ظلت عالقة بذهني ومفتوحة امام عيني كالمنظار السحري الذي يفسر لك كل شيء وأذكر انني في احدى الندوات التي كنا نقيمها في منطقة كبوشية وفي مجال الحديث عن اثر التحولات الاجتماعية في لغة الشعر اشرت الى قوله :

احببتها خصرا كقوس كمنجة ظمآن ضامر

واشرت الى ان وصف الحبيبة ذات الارداف التي تمشي

مشي السحابة لا ريث ولا عجل وذات (الرقبة القزاز) قد اصبحت ذات خصر كقوس الكمنجة بعد التحولات الحضارية التي هزت ادوات التعبير .

ان الفنان الاصيل هو الذي يصعد بالرمز والتعقيد النفسي الى مستوى انسجام القارىء نفسه لا الذي يغوص بالقارىء في دهاليزه الداخلية بهزة انفعالية مثيرة او شحنات رمزية مروعة . ولقد كان الزين سعيد الحظ حقا عندما تفتح لديه الوعي القومي والسياسي في فترة زمنية خصبة بالتجارب حبلى باحاسيس اجيال كثيرة تمخضت عن الاستقلال السياسي .. والحكم الوطني .. والحكم العسكري وثورة اكتوبر الظافرة وحكم الاحزاب البائدة ثم ثورة مايو الرائدة سنوات رسبت في قاع نفسه الثقافي شحنات شعورية عبر عنها في اروع الصور واجمل اللوحات فقد الهمته عظمة التجارب تعاظم الاحساس بالالتزام الادبي تجاه قضايا هامة في حياتنا فتجاوز فارق السن في شمولية فجاء مكتمل الوعي ناضج التجربة ... فلعل هذا ما جعل الشعراء الذين عاصروا سنوات الكفاح من اجل الاستقلال اقل حظا في النيل من المنابع الثرة التي تفجرت بعد الجدب الطويل ولم ينعموا بثمرة الهامه الفني عندما تخطوا مرحلة الشباب بحرارتها وعنفوانها وحدة معاناتها .

لقد خرج الشعراء في العصر الحديث عن حدودهم الاقليمية وتخطوا الحواجز الى مسافات بعيدة في كل بقاع العالم واثروا المكتبة العربية بتراث انساني خالد .. وفي

قصيدة (شاربقيل) (وموعد في الارض المحتلة) ردود فعل عنيفة لما يدور في العالم الخارجي في نفسية الشاعر ... انها خطوة من جانب الشعراء للارتفاع بالشعر العربي نحو العالمية والزين في محاولته الدائبة للاحاطة بكل ما يثقل ضمير الانسان الحديث واجتراره الدائم لعروبته وافريقيته لا يمازج بين هذه المشاعر بالدرجة المثيرة فقط بل يصدر فيما يصور في بعض الاحيان في هذا الاتجاه او ذاك عن تعصب ملطخ بزيت القدسيات ، على ان المسألة تصبح في النهاية مشكلة التعبير الخصوصي عند الكاتب لا يجاوب عليها الا بطريقة ذاتية للغاية وهذا ما يجعلني أحس بضرورة قراءة الديوان مرة .. ومرة بشكل لا يتجزأ قبل الحكم عليه كقصائد واتجاه فكري واسلوب في معالجة قضايا الحياة .

ان الشاعر في تقيم التجربة السياسية بعد الثورة الاشتراكية يربط جذور المأساة باعماق الارض التي نبتت فيها ويلونها برائحة التراب مما يعمق فينا الاحساس (بالضياع) الذي كان يعانيه قبل بذوغ فجر الثورة فهو يخاطبنا بحدة ولكن من منابر متحررة من كافة المنفصات الايديولوجية التي تنزع عنه لغة الحرية وتثبت بدلها جبرية العقيدة ويرفض الخطوط الصارمة التي تعطي الكلمات دلالة اجتماعية خاصة ونكهة فكرية مميزة.

ان الشاعر ينفذ الى اوهام الناس بشفافية قاع العين الى داخل المخ والوجدان الجماعي ويضع على عاتقه عبء تحويل هذه الذهنية الاتكالية الى مسار جديد لعقلية عصرية متفتحة في محاولة دائبة لتنشيط الحركة في خلايا المجتمع والنزوع المستمر الى تعميق حرية الفكر .

ان الزين يجسد قلقه الواضح من وطأة اقدام الحضارة على ترابنا الطاهر ، اذن فهو دائما يؤكد انه لا يكفي ان ننظر بعيون مفتوحة الى امراض المجتمع ولكن الضروري والحتمي أن نضع اصبعنا في محاولة التشخيص وضغط زناد التجربة لنسف الوهم العالق في نفوسنا متجاوزين بذلك السطح والغلاف الخارجي .

وهكذا تتواتر الصور وتتعدد المواقف وانت تقرأ الديوان لذلك فانا اترك للقارىء ان يستجليها ويقف يتأملها صورة صورة لا يأخذه النغم فينساق ولا تقعد به حدة الكآبة التي تطبع كل شطر منغوم .

ان الدكتور الزين عباس عمارة قد اضاف للمكتبة السودانية كتابا جديدا جديرا بالقراءة .

عمر الحاج موسى

أيّار ... والعَودة

وعاد الشعر في ايار (*)
وفي ايار ...
تهب الريح ...
تهمى غيمه حبلى .. «دعاش» الليل والامطار (١)
تفور التربة العطشى ... جزائر صحوة النوار
وقد جفت لهاة الشعر كالصبّار
وقد حلبوا لبان البقرة العجفاء
وقد صلبوا على الطرقات كل فصائل الشرفاء
واصبحنا امام بيوتنا غرباء
فقد كانوا وصوليين ... ممتلئين بالاهواء
تجردنا من الاحساس ...
وايقظنا غرائزنا بكل جهالة الجهلاء
وقد جفت حناجرنا من الاشعار

---

* ايار : شهر مايو .

(١) دعاش : رائحة الهواء الطلق المنعش الدال على هطول المطر ويتخذه الاهالي بشير خير .

تسمرنا امام «عيون ميدوزا» على الابواب والاسوار[٢]
تعلقنا بضوء الشمس مشنوقا على الآفاق ...
تحت عباءة مخنوقة الأنوار
تساقط وهجها شهبا على هاماتنا كالنار
تحدثنا ... تندرنا ... وثرثرنا ملأنا الدار
فلم تصطك أذن الفيل لم تتحرك الاحجار
ولم يستيقظ الاشرار
فكانوا كلهم اشرار
مدينتنا مغارات من الحانات والاوكار
محصنة من الاسمنت والجرنيت
وواجهة تقول شعارنا بالحرف (جمهورية الخرتيت) [٣]
تثير الغمز والتهريج والتنكيت
وفي ايار ..
الا ما أروع الكلمات ...

---

(٢) في الميثولوجيا الاغريقية : مغزى الاسطورة ان كل من ينظر الى (عيون ميدوزا) يتحول الى جسد حجري .

(٣) الخرتيت : حيوان في جنوب السودان مشهود له بالقوة والحماقة وضيق الصدر اتخذته الحكومات السابقة شعارا لجمهورية السودان .

ما أحلى صدى قيثار
على شطآننا السكرى نردد غنوة الثوار
نغازل سرعة التيـــار
تطهرنا ... غسلنا قلبنا في النبع صرنا كلنا اطهار
خلعنا كل ما فينا لضوء الشمس يغسله من الاقذار
تجردنا من الشهوات كفَّرنا خطايانا
توشَّحنا بكل فضائل الثوار
دخلنا ساحة التاريخ في ايار
اقول لكم ... اخاطبكم ... اناديكم
واجمعكم كحبِّ الكرم في كفي ... واخفيكم
واحميكم من الاشرار
فانتم آخر العنقود من شرفائنا الاحرار
رجال الكلمة المطروقة الاسنان
كحد السيف ... كالسكين بين الفك والاسنان
وقد سقطت وجوه الزيف والبهتان
أقول لكم ... وقد عدنا ...
رجعنا بعد غربتنا ... الى السودان

مايو / ١٩٦٩

رسالة حب

يا دفقة الامـــل المنور في النفوس المظلمه
يا ألف عاطفة توشوش في القلوب المغرمه
يا الف اغنية بثغري ... حلوه ... ومنغّمه
ورسالة جاءت بريدي ... غنوة ... مترنمه
لن استبيح عبيرهـــا يا قطة مستسلمـــه
موج التعابير الرقيقه والوعـــود المضرمه
ظمآنة كلماتها ... مشبوبـــة ... متكتمه
اعطافها أمل يضيء ... وامنيات مفعمـــه
وعواطف عطشى ... تموج عصيّة ومترجمه
وتطل من بين السطور مع العيون الملهمه
ما زلت اقرأ في الرسالة والحروف المبهمه
اخشى النهاية ان تكـــون مثيرة متجهمه
يا حلوة العينين حاشا .. لن تكون محطّمه
رؤياك من بين الحروف مطلّـــة مبتسمه
حتى انامك الرقيقة في السطـــور مجسمه
كفراشة نشوى تطوف على الحروف مهوّمه

الوجه .. كالقمر المضيء وقد توشح انجمه
يا الف أهلا بالهوى يا كنز روحي المعدمه
جاءت رسالتك التي ستظل أغلى ملحمه
من كل حرف صامت عبثا اداعب مبسمه
نبضاته خفقات قلبي حينما اعتصرت دمه
يا أسمها ... احلى كلام في فمي لن اكتمه
لن استبيح عبيرها يا قطـة مستسلمـه

مارس / ١٩٥٧

أطباق راقصة

البسمة مزقت العتمه
والفرحة تسري كالنسمه
ومددت يميني في خجل
كالسائل اذ يخشى اللطمه
ودنوت عليها اسألها
فارتعشت باهتة البسمه
ما زلت بشغف ارمقها
وحيائي صور مرتسمه
وتضج باعماقي ذكرى
وتعربد في ثغري .. كلمه
فالتهمت كفي في نهم
ما أحلى كف الملتهمه
فالصوت صلاة خافته
ينساب كايحاء النغمه
يتردد في سمعي نغما
يترنح ثملا بالكلمه

والوجـــه عبارات ولهى
والثغر تقاطيـــع نهمـــه
والقلـــب احس بدقتـــه
تتردد شوقـــا في الظلمه
وشفاهـــا تحبس انفاسي
تتدلى ناضجة دسمـــه
ينتحر الشوق على صدري
كغلول الركب المنهزمه
والارض لهيب مشتعل
بخطى الساقين المنتظمه
والخصر كطـــوق يتلوى
يتأود طربـــا للنسمـــه
وســـواد العين يؤرقني
كالليل الغارق في ظلمه
والضوء يداعب خصلتها
فتطير جدائـــل مضطرمه
والثغر يضـــيء زمـــردة
وجهـــا يتلألأ كالنجمه
والمعطف دغدغ نهديها

كالأصبع يعتصر الكرمه
والشهوة تصبغ شفتيها
تهتـــز كاطباق دسمـــه

اكتوبر / ١٩٥٨

لقاء عابر

يا دفء اشواقي لاضواء الصباح الباكر
للعيد للامل المجنح في اللقاء العابر
للفرحة الكبرى تعربد في خواطر شاعر
يا وردة في الحقل ترفل في وشاح ناضر
في نبض قلب عاشق يهفو لقلب نافر
صور اللقاء رشيقه تجتاز درب خواطري
النور في فستانك الشفاف فجر بشائر
والثوب هفهف لارتعاشات النسيم العابر
والشعر جنّح صبوتي في خصلة وضفائر
ويروقني وقع الخطى فوق البساط الفاخر
من كل عضو صارخ الاغراء تحت ستائر
وانامل الكف الرقيقة في الخضاب الساحر
والنهد كالموج المعربد في الخضم الزاخر
نافورة .. حول الجحيم من اللهيب الغامر
شربت عيوني من لظى لحظ مثير ثائر
وتراقصت اغرودة عند المساء العاطر

مشبوبة الخطوات عطشى للغرام الباكـر
خطواتها كالجمر تحرق كل جرح غائـر
عامان من عمر الصبا مـرا كلمح عابـر
احرقت في نار انتظارك مهجتي ومشاعري
احرقت اغلى ذكرياتي في جحيم مجامري
اهفو لنجم شارد قد كـان ملء نواظري
اهفو اليه اشتهيه بكـل دفء مشاعري
اهديه احلى ما كتبت من الكلام الشاعري

اغسطس / ١٩٥٨

موعد ... في الأرض المحتلة

ثوري ولا تترددي
يا شعلة حمراء تحملها يدي
مدي يديك ... فقد مددت هنا يدي
وتمردي في كل شبر من رباك ... تمردي
انشودة للنصر في ثغر الصغار
وجها جديدا عاد شوقا للديار
ورصاصة تنداح في وضح النهار
فجرا يطل على الظلام يحيله ضوءا ونار
فالضوء في سيناء منثور ودافق
في الخيام ... وفي الجبال ... وفي الخنادق
مثل ريح عانقت قمم البيارق
والصغار يصارعون زناد عشرات البنادق
والرجال يشيّدون على المسافات المشانق
فوق ارض الموعد
كالرمح في صدر العدو يشق قلب المعتدي

كالصوت في حيفا .. يغني اغنيات الموعد
يا شعلة الحقد الدفين الاسود
يا وقفة الشعب المناضل
يا شذى حرية قسما ستزهر في غد
يا اغنيات اللاجئين على الرصيف البارد
يا ذكريات الواقفين على جدار المسجد
يتغلبون على لهيب ضريحه المتوقد
يستنشقون نسيمه المخبوء في فجر الغد
يا دفء شوقي للسنا ... للنور في فجر الغد
قسما بولولة الرياح تعيد كل مشرد
بالثأر .. بالطفل الوليد وبالذي لم يولد
ميلاد كل مناضل في قيده متمرد
عيناه في الافق البعيد تحدقان الى الغد
تتوهجان من اللظى حتى الصباح
ذكراه توقظ في ضميري قصة الوطن المباح
مدي جناحك للرياح لكي نطير مع الرياح
ان الجراح عميقة ... وجراحنا اغلى جراح
ومقابر الشهداء قد فتحت لتذروها الرياح

ملء التراب البارد
لتضم جثة مارد
يا دفء شوقي للسنا .... للنور في فجر الغد

١٥ مايو ١٩٥٨

الصليب الذهبي

مرة قالت : حبيبي
قلت يا حسناء : اهلا
الف أهلا ...
عطر الشوق دروبي
ان تجيبي
أي حرف من حديثك لم يكن يوما حبيبي
اي عطر ضمّخ الخصلات لم يغمر دروبي
كل همسة مئزر للنور قد غفرت ذنوبي
عندما علقت شراهاتي على الصدر الرحيب
يا حبيبي
يا قلادة صدرها يا وهج نيران الصليب
تراقصت رقراقة .. كالطائر الفرح اللعوب
اذ شعت الاضواء فيها ...
بين نهديها .. ترقرق عطرها انهار طيب
وتوهجت في خدها الاضواء .. في لون اللهيب
يا موجة غجرية ... سيلي على شطي وذوبي

يا شفاها في ندى العنقود في لون المغيب
أتشتهي لشمي فتحضنها جيوبي
اسكرتني حمرة رعشاء في الثغر الطروب
مذ رأيتك مرة اولى وفي ليل غريب
تسمَّرت عيناي في عينيك في صمت رهيب
يا حبيبي
قد عصرت مقاطع الكلمات.. اعصابي.. على وعد قريب
اضرمت شفتاك نارا فاشتعلت من اللهيب
احرقت شفتيّ زنبقتان في لون الغروب
كل نبض في عروقي هاج من ضوع الطيوب
كل شيء في حياتي حركته يد الصليب
عندما قالت : حبيبي
قلت يا حسناء : اهلا
الف أهلا ...
مرحبا صاحت دروبي

اكتوبر / ١٩٥٩

طفل غانية

قالوا له أحلى كلام
قالوا لنا : قد جاء في ليل الظلام
ليل الخطايا
جاء من صلب البغايا
صلب غانية تقرح بالصديد
جاءت من الريف البعيد
بحثا عن العيش السعيد
في كل عام
في السوق ... في وسط الزحام
وتعيد ما كانت تجيد
وبقيت أنت هنا وحيد
منذ الفطام
القت بك الايام في وسط الطريق
عيناك مطفأتان من وهج البريق
في درب قافلة تسير بلا دليل... في الظلام
ما زلت تسأل ... يا أبي

عبثا ويرتد السؤال
« النار قد تلد الرماد »
والناس قد تلد الحرام من الحلال
وتخاف ان يأتي المســـاء
ويقهقه العطر الطليق ... من المباخر في الطريق
فيشدّ في حلقاته السوداء ... شهوات الصديق
فيعود كل مشرد قد ضل في الدرب العتيق
يتذكر الباب القديم
فيعود يطرق بابكم
يأتي اليه صحابكم
في الباب يسترق النظر
من فتحة الباب الصغير
وعرائس الليل الطريد تموج في فرح مثير
وجماعة وقفت تحملق فوق حائطه القصير
قد مزقت اعصابها خصل الحرير
فهوت بكف مثل مطرقة الحديد
فتحطم الباب الصغير
حتى الصباح
الشارع المقروح في اضلاعه نزف الجراح

وتطير اعقاب الزجاج مع الصياح
والواقفون على الطريق يثرثرون
مثل العناكب في الجدار
ويوسوسون
يتحرك الصف الطويل قوافلا
في الانتظار
مثل الجنود العائدين من القتال
والصمت أطبق في الشوارع ... والظلام
والليل أخرسه الضجيج وهده طول الصدام
يمشي باقدام العجوز على الخرائب والحطام
زرع الاجنة في البطون حصاد عام
عام جديد ... طفل جديد ..
عند السويعات الاخيرة في الصباح
تأوي اليك الام خائرة القوى
تحنو عليك لكي تنام
منهوكة الاعصاب ميتة العظام
قالوا له ... أحلى كلام
قالوا لنا : قد جاء من صلب الحرام
ما عاد يبصر روعة الشمس الحبيسة تحت غابات الظلام

ويسير في نفس الطريق
وسط الزحام بلا صديق
ويلوك في شدقيه نفثة انتقام
ما زال يحلم بالابوة... قبلة حرى... وشوقا... وابتسام
ويعيش في طهر الامومه
دفء عفتها يعيد اليه مجدا من حطام
مجد الطفولة تحت رايات السلام

ديسمبر ١٩٥٩

وقفة ... وعتاب

لا تسرعي
فجر الرحيل المزمع
فلربما أنا لا اعي
ردي الي رسائلي ... شعري ... لهيب اصابعي
ردي قصاصاتي التي وقعت فيها مقاطعي
الليل سهد مقلتي والصبح فجر ادمعي
لا تتركيني للهوى وحدي يؤرق مضجعي
اني هزمت ... صراحة ....
فلنعترف اني خسرت مواقعي
أجدى لنا ... ولحبنا اني رضيت بواقعي
منذ افترقنا وانطوى عهد العطاء المبدع
فتمنّعي ما شئت ان تتمنّعي
انا لا اريدك دمية بأصابعي
أنا لا اريدك أن تطيعي ان اشرت وتسمعي
اني دعوتك للهوى متوسلا ان ترجعي
ظمآن للورد المطل من النوافذ

للأنامل ساقيات الورد ... حمر البرقع
ذبلت ورودك في الهوى بعد الربيع الممرع
لا تسرعي
لا تمنعي خصلات شعرك ان تعطر مخدعي
وطلاقة الوجه الصبوح تطل ... تعبر شارعي
لا تمنعي الخصلات أجنحة الفراش
أنىّ رحلت اليك اصحبها معي
فلربما انا لا اعي
انا غيمة في افقك الذهبي تهطل ادمعي
أخضوضرت بك سنبلات القمح... نبت مزارعي
وتفتقت صحراء عمري في الربيع الضائع
سحت سحابات الندى
وتفجّر الغيم الحبيس على الفضاء الواسع
لا تسرعي
فلربما انا لا اعي

مارس ١٩٦٠

الزورق المحطم

يا زورقا في الشط يستجدي الموانـي والقلاع
لفظتك شطآن المرافىء مثـل قافلة الضيـاع
للريـح في جنبيك امـواج تثور بلا انقطاع
صوت المجاذيـف التي هزتك عنفا والتيـاع
وتحطمت فيك القوارب والحوامل .. والشراع
والنجم يرمي تحت جنح الليل مأساة الصراع
تجتـر ادعيـة السماء ولهفة الامـل المشـاع
ونعيش في نار الترقب دفء لحظات الـوداع
ونحس اشراق السنا والفجر ليس بمستطـاع
حتـى يدي تهتز مـن ثقـل الوريقة واليراع
ماذا أخط وفي يدي قيـد وفي ذهنـي صراع
قد كنت بالامس القريب سفينة تطوي البقاع
قد ابحرت في كل بحر غامـرت في كل قـاع
حتى غدوت طحالب الامواج .. من سقط المتاع
وغدا .. احلق .. اعبر الآفاق .. خفاق الزراع
وامد كفي .. كي ازيح الستر .. انتزع القناع

وغدا تطوقني الحياة مع الرفاق .. بالف بـاع
ونصوغ من وهج السنا خيطـا نطرزه شراع
حتـى يطير الزورق الماضي باجنحـة الشعاع
انشـودة للبحـر .. تعبر كل ثانيـة قطـاع
تجري على امواجه مدا .. وجزرا .. واندفاع .

يناير ١٩٥٩

المدينة الباسلة

مدينة الجمال
الضوء في عينيك شهقة انفعال
من قلبك البنفسي والحنون
يعانق الاجيال في مسيرة القرون
الطيب المقبور في جدرانك الطوال
والحسن والجواهر البعيدة المنال
ومخبأ الكنوز في جدرانك الطوال
يا واحة الهجير يا تعريشة الظلال
يا نسمة تدغدغ الحواس والخيال
يا قطرة الضياء في معابد الشموع
يا مهرجان النور يا مشاعل الجموع
تسير فوق السلم المخضوضر الرفيع
لتقطف النوار من مشاتل الربيع
مدينة الجمال
لا تعرف الحدود لا تحس بالمحال
لا ترتمي في الارض تلعق النعال

مدينة النضال
حروفها حبيسة مذاقها ذلال
وطعمها كقبلة الاطفال
تعيش في براءة الطفوله
في روعة المشاعر .. النبيله
في فجرها البعيد تفرس الأمومه
حديقة خضراء في دروبها العظيمه
وتزرع الحنان في بيوتها القديمه
مدينة الجمال
حبيبة الشباب والشيوخ والاطفال
تموت لهفة الحديث يجمد السؤال
والشوق فاق كل احتمال
ودعتها والضوء فوق قمة التلال
تركتها تغيب خلف غيمة الظلال
وقبلما افيق من مشقة الرحال
اعود للرحال
اشتاق يا رفاق
اشتاق ايما اشتياق
اشتاق للقاء ... للحنان ... للعناق

لم احتمل مرارة الفراق
يا فرحة الاطفال بالكرات في الدروب
وزحمة « الترام » مثل النحلة الدؤوب
يضم في احضانه تاريخنا الحبيب
ومجدنا المشنوق كالمسيح في الصليب
قد عاد نابضا ... مخضوضرا ... رطيب
يعيش في القلوب
في حدق العيون في وجداننا الحبيب
مدينة الجمال
عرفت في دروبها النضال
شربت من غديرها الموسق المكسال
يموج في دروبها سلسال
في حارة الرفاق : « بيت المال »
يضم في احشائه مواقع النضال
تعيش في بيوته الآمال
يا ليتني اضمها كزهرة كلوحة رقيقة الظلال
رسامها يجتث من اطارها ملامح الهزال
ونكهة السعال
يصور البنات والشبان والرجال

جماعة تعيش للحياة والنضال
مدينة ام درمان
يا عودة الربيع للورود والبستان
يا رعشة الاقواس في الكمان
يا نغمة الحنان
يا قلعة يغوص في اعماقها التاريخ
يستقر في ساحاتها الزمان
حقيقة الانسان
قد ضاق بالحدود ... بالابعاد ... بالمكان
مدينة ام درمان
لكم وددت لو حملت حفنة الضياء
كحلّت مقلتيك في المساء
سجدت في حياء
سجدت كي اقبل اليد البيضاء
وارتمي في حضنك الكبير في حرارة الدعاء
اليك بالمستقبل المنور المضيء
بالمجد في غد الطفولة البريء
مدينة الجمال
الشوق في عينيك زادني اشتعال

ولا أزال
موزع الأشواق عائدا ... أشد للرحال
لنلتقي
وانتقي هدية فريدة المثال
لموطن الجمال ... والرجال ... والنضال

مارس ١٩٦٠

شاربفيل

شاربفيل (*)
ان الطريق اليك قطعا لم يكن يوما طويل
وسمعت دقات الطبول
صوت العراة الثائرين مع الجموع
يتحسسون طريقهم وسط الظلام بلا شموع
ليل الأسى ... ليل العيون المطفئآت بلا دموع
قد ذوب الاجهاد في أحداقها نور الصباح
قد هدها طول المسير ولم تزل تطوي البطاح
ركبت على صقر كليل الموت ... مفتول الجناح
حقدا يولول ... كالرياح
يا شاربفيل
قطرات ضوء أشرقت فوق الروابي العاليه
في ساحة الموت المضيئة من دماء غاليه
كالشمس قد خرجت على قمم الجبال العاتيه

---

* شاربفيل : مدينة في جنوب افريقيا حدثت بها معركة دامية بين البيض والملونين .

خرجت على صوت الطبول مع الوحوش الضاريه
من كل تل قد تدفق في سفوح الهاويه
وصعدت يا افريقيا
في قلب معركة الزنوج .... الداميه
ما عدت يا افريقيا .... زنجية او جاريه
مصلوبة تمشي امام الناس ــ ترقص عاريه
تتكسرين على زنود (البيض) أنثى غانيه
ما عدت خضراء الدمن
قد ماتت الابعاد في الغابات ... قد تاه الزمن
سقطت عبادات الوثن
ونفضت أسمال الكفن
في شاربفيل
المد قد غمر السواحل والشوارع والقبور
خرجوا من الاكواخ ... والتل الكبير
خرجوا الى شمس الحياة بدفئها الحلو المثير
يتنسمون عبيرها ملء الصدور
يا شاربفيل
الصبح قد نشر الضياء ليكحل الليل الطويل
ليل الزنوج السائرين بلا دليل

العائدين من المزارع والحقول
نهر الدم المسفوح من قتلاك ميلاد لجيل
جيل تحدر من مخاض المجهضات على الخيول
من قلب اكواخ تداعت تحت انقاض السيول
من صرخة رجعت صدى غمرت حرارته السهول
من طلقه لما تزل تندس في صدر القتيل

اغسطس ١٩٦٠

حب الملايين

انا لست املك نصف مليون وفيلله
او عمارات على النيل مطلّه
لست املك اي شيء تغتنيه يد الأقله
لست املك غير مصباح صغير
في آخر الليل الطويل
ما زال ينبض فوق شباك قصير
نبضات قلب مستجير
محرابه طهر المصلي فوق سجاد صغير
صلواته .. انجيله عن حب انسان كبير
حب الملايين التي عاشت سنين الزمهرير
اتراحها وسرورها
افراحها الخضراء تنضح لوعة ومصيرها
نامت على نار الاسى
عند الصباح وفي المسا
فوق التراب ... على حصير
لا تبصر الاضواء الا خلف قضبان وسور

قد آنست في عتمة الايام مصباح المصير
انا لست املك اي شيء يا صديقه
من اين لي ثمن الفساتين المطرزة الانيقه
ودورق العطر الهريق على انامل الرقيقه
وبعض اشياء مذهبة دقيقه
يا صديقه
أأميرة القصر المطل بشرفتيه على الحديقه
من حولك الدنيا تصفق كالفراشات الرشيقه
انا لست املك غير عزمي ان اقول لك الحقيقه
فلتحطمي سجني لكي تبقي طليقه
انا ليس لي مال ... ولكن لي امل
لي عفة العذري يحتقر الغرام المبتذل
يأبى التشبث بالحياة بلا حياء أو خجل
يأبى التعلق بالكبار
قد اوصدوا في وجهه باب الهوى والانتظار
دفعوا امام عيونه اعلى جدار
انا لست املك ما اريد
حتى اجود

لك بالسعادة والهناءة والخلود
انا لست املك اي شيء غير اضرار عنيد

يونيو ١٩٦١

اعْتِـــذَار

اعذريني
كنت اصغر
كان عمري في حياة الحب شيئا ليس يذكر
بعض عام ... وليال ... ليس اكثر
كان احساسي طفوليا .... مبعثر
خطواتي في دروب الحب حيرى تتعثر
هأنا قد صرت أكبر
صار عمري قمة العشرين عاما بل وأكثر
لم أعد يا أخت طفلا
قد وجدت الحب في عينيك أحلى
سحره يزداد اشراقا ونبلا
طعمه شهد وسكر
أعذريني
ان لمست جناح خصلتك المعطر
ان غمست اناملي تلتف في الشعر المبعثر
طائرا بالشوق يذرع كل بيدر

أعذريني
فالذي أخفيته في القلب أعواما تبلور
مثل موج هادر في الشط ... في عنف تكسر
لم يكن الا بقايا كبرياء ... كان مظهر
كل شيء كان يدعوني فلا اقوى ... واحذر
كل شيء كان يقسم لي بأن الحقل أخضر
والزهور البيض قد فتقت وصار اللون أسمر
صدقيني
صرخة المحروم ان قتلت على شفتيه أخطر
انها مرآة شيء في الحنايا قد تفجر
فخذيني لحظة .. أجتر مأساتي بقربك
قد نذرت العمر قربانا لحبك
والذي شل وجودي وهواي
والذي أدمى خطاي
واقتفى أثر حياتي بالوقيعة والوشايه
بالحكايات التي تغتسل في وحل الخطايا
سوف يقذفني بعيدا
سوف يطردني وحيدا
في النهايه

لست أحفل
ان مضى عمري تشيعه أغاريدي حزينه
انّ صلبت بساحة الشهداء في باب المدينه
وأمامي الف جسر في طريقي
ودماء الثأر تنبح في عروقي
سوف أصعد شرفة القصر البعيدة
في يدي كنزي.. حروف النور.. ابيات القصيدة
يا وحيدة .
يا خطى امشي وأسمع وقعها روحا جديدة
أقلعت في بحر مأساتي شراعا
كالأناشيد السعيدة .

اغسطس ١٩٦٠

مارس ... والعنقود الأحمر

اجل اني سافديها وان رحلت سابكيها
فتاة تملك الدنيا قلوبا في اياديها
فتاة حلوة البسمات تنشرها وتطويها
تباعدني وتدنيني وطول العمر ادنيها
امازج بين وجداني ووجدان الهوى فيها
فتاة تعشق الآداب تستجلي معانيها
وتنهل من عيون الشعر حاضرها وماضيها
فقد كانت تبادلني مشاعرها وتخفيها
وتأبى ان تحييني وتأمل ان أحييها
لأن الناس السنة من النيران تصليها
غدا تبدو مسافاتي كخطوات وأمشيها
امامي خصلة العنقود احمرت اعاليها
بذرت الحب في حقلي فاخضرت مراعيها
سكبت الدمع انهارا على الازهار تسقيها
ساقطفها محرمة على غيري ... مغانيها
لاني لست للحرمان اعبدها ... وأدنيها

قضيت العمر فنانا يوقع من أغانيها
باشعاري واوتاري ملأت المنحنى تيها
واكثر ما يؤرقني واحلى لقطة فيها
ضفائرها مجنحة على الاكتاف تلقيها
تؤرقني ... تعذبني واعماقي تناديها
نداء العاشق الجائي لدى محراب واديها
فلو سمعت باشعاري ولو قرأت قوافيها
ولو سألت حروفا كنت أعصر من دمي فيها
ولو قرأت عيون الشعر حين نظمته فيها
ستعشق فيه خفقاتي وتسكر من معانيها

مارس ١٩٦١

الجدار والموت

خلف الجدار
سقط الرجال
وتسللوا صوب المغارة في انكسار
يتلصصون ...
زرق العيون ...
حلقوا الشوارب والذقون
عزراء في وضح النهار
يخشون نور الفجر لو شعت منارته معلقة على أعلى جدار
ينهافتون بلا حياء
يتقهقرون الى الوراء
والليل يركض من مغارته ويحتضر الضياء
ويدق في عنف ليفتح بابنا عند المساء
خلف الجدار
مليون افاك غبي يختفي خلف الجدار
ويعيد مأساة تعرت في وجوه الناس وانهد الستار
وأنهار تاج بنفسج من صنع ألهة الدمار

وشته بالعقد الثمين ... هدية ... أكليل غار
منديل غانية تعيش لحبها المفضوح من خلف البحار
تسعى له في كل دار
فاذا بفارسها يعيش حياته خلف الجدار
في كل بيت ... كل دار
من كل عين فجّة الاحداق ينبعث الشرار
من كل صدر هادر بالحقد ينوي الانفجار
وغدا سينهار الجدار ..
لا ... لن يطول الانتظار ..
يا ارض ثوري وانفضي كفيك احقادا ونار

ابريل ١٩٦١

يا صباها

يا صباها ... يا صباها
حين تضحك مقلتاها
حين ترقص خصلتاها
حين ينضح ثوبها عطرا فيسكرني شذاها
حين يبسم ثغرها شوقا ويدعوني هواها
آه من دقات قلبي ... الف آهه
تغزل الشوق .. وتركض في شراهه
تحبس الانفاس في صدري مع وقع خطاها وأراها
ملء وجداني وروحي .. صرت اعبدها الها تتباهى
خصرها قوس كمان عبقري لا يضاهى
ضامر حول استدارته ينوح الشوق
تلتف الشرائط في عراها
ونهود كتلال الثلج لم ابلغ ذراها

وعيون كالبحار السود لم اعرف مداها
وخدود تكتسي خجلا طفوليا ... فتغدو .. وجنتاها
في احمرار الكرز اشتعلت لهيبا ... فاحتواها
نغزل الرمش عيونا وشفاها
وحديثا ساحر الايقاع يستجدي رضاها
يترجى
ابتسامات تدغدغه طفوليا وغضا
وعناقا ... فتتّق الاكمام في الازهار بضا
كلما زاد هياما ... ثار في صخب وضجا
زاده الشوق لهيبا احرق الآهات نضجا
ينقر الاوتار ترتعش الكمنجا
يستحم القوس في اوتارها ينساب غنجا
يا نداء راعش الصوت تناهى
نغمة مشدودة الايقاع يطربني صداها
حيث تأخذني على رفق يداها
ابلغ النشوة قفزا صاعدا اعلى ذراها
كلما ادركت دربي قلت قد تاهت وتاها
كلما وقفت امامي قلت : لن اهوى سواها

وأراهـــا
ملء وجداني وروحي ... صرت اعبدها الها

يوليو ١٩٦٢

قولي لهم

قولي لهم لا تنكري :
أحببته ووهبته قلبي وكل مشاعري
فالعار يا حسناء ان تتنكري
وتمردي
يا نبع الهامي وروح قصائدي
فالشعر في نبضاته صلوات فنان وخلوة عابد
كالراهب المتعبد
جاث لديك
في وقفة المحراب متجه اليك
متلهفا .. متوسلا ... متحرقا شوقا اليك
قولي لهم لا تنكري
رغم الوشايات الكثيرة لم يبح بسرائري
رغم الفراق المر هدهد خاطري
بقصائد الحب المجنّح بالحنان الغامر
ابصرت حولي لم اجد الا محبة شاعري
تختال في احلى صور

قد ظل في نار الهوى .. في البعد يسترق النظر
نظراته حبلى بحب لم يجربه البشر
يخشى عليه من العيون .. من الزمان.. من القدر
لا تنكري
يا فرحتي يوما أراك امامهم تتكلمين
عن حبنا .. عن عشنا .. في كلمتين
قولي لهم قولا شفيق البوح مستعر الحنين
يا قوم ماذا في جوانحكم من الحقد الدفين
ومنحته أغلى هوى عندي على مر السنين
وأراه أحلى ما أقدمه اليك
في باقة .. في وردة كنقاء قلبي صافيه
في قصة لهب الحروف يصوغ احلى أمنيه
في أغنيه
محمومة الايقاع تحملني اليك
في لهفة الشوق الحبيس أطل لي من مقلتيك
في رقة القلب الذي يهفو اليك ويشتهيك
متمردا ... كالطفل في حضن الغريب
لا يستجيب
الا لقلب حبيبة تحنو عليه ... تهزه

حتى يكف عن النحيب
لا تنكري
قالوا : احببّت
قلت : لا ... كذبوا وكذبت الوشايه
لم اصدق.. لن اصدق طالما عانقت في صدق خطاي
أرفيقة الدرب الطويل ... رفيقتي حتى النهايه
تذكري
قالوا : احبت
قلت : لا ... كذبوا فما خانت عهودي
الهمتني طهر حب قد عرفت به وجودي
انا منذ يوم عرفتها
والارض في فرح تهلل
كي تبارك لي وليدي

اغسطس ١٩٦٣

لقطة

صديقتي ذات الضفيره
صديقتي رشيقة نضيره
صديقتي يقال عنها : لقطة مثيره
انسانة لا تعرف الغضب
رقيقة ... طيبة .. وذات قلب
من معدن الذهب
تزيده الاحزان مسحة من الوهج
بريقه الأخاذ يخلب العقول
ووقفة العشاق في محرابه تطول
ويصلب الرجال
قوافلا .. قوافلا .. تسير في اتصال
كثيرة الترحال
لكنه البعيد .. والعنيد .. والمحال
لصائد يلم في شباكه القلوب
لعاشق موله مغلوب
صديقتي

ومنذ ان عرفتها شعرت بالحنين
لقصة اذيب في لهيبها كآبة السنين
لعالم يشدني .. يضمني في صدره الحنون
اذوب قطعة ثلجية في مرفأ حزين
اذوب في طلاقة الحديث واستدارة العيون
في رقصة الضفيرة المثيرة الشجون
صديقتي لو تعلمون
انسانة رقيقة نضيرة
عيونها جذابة مثيره
اغرودة نقية السريره
ورغم انها صغيره
لكنها مطاعة ... مهابة .. اميره .

اغسطس ١٩٦٣

ذات الضفائر المجنحة

احببتها ذات الضفائر ... احببتها ذوب المشاعر
احببتها وجها طفولي المقاطع ... والمحاجر
احببتها انفا دقيق الصنع معتدا ... مكابر
احببتها صدرا كدفع الموج فوارا .. وهادر
احببتها عنقا تدلت حوله احلى .. ضفائر
احببتها خصرا كقوس كمنجة ظمآن ... ضامر
احببتها صوتا شفيف الجرس احلى من مزامر
احببتها حبا لذيذ البوح ملتهب المشاعر
احببتها يوما تلاقينا على وعد مغامر
اخشى عليك من العيون ومن مفاتنك البواكر
اخشى عليك من الطيور العائدات من البيادر
اخشى عليك من الزمان فانه في الحب غادر
اخشى ولا ادري لماذا ؟ كيف افصح او اجاهر
كيف أسلو عن هواها لا ارى للحب آخر
كل جرح في شعوري مفرط في العمق غائر
زاد عمقا في ضميري زاده شوق ... المسافر

قد جاء ممتطيا جنـاح الشوق منطلقـا كطائر
مـذ حط فوق رياضك الفيحاء هيابا محاذر
عائـدا من عالـم الرحلات مغتربـا مهاجـر
قد جـاء من وهج الهجير يسوقه ظل الازاهر
آوَّاه .. إيه حبيبتي قلبي علـى الحالين صابر

ابريل ١٩٦٣

شوق العائد

فتاتي لست أنساها وملء القلب ذكراها
وأبكي حين تلقاني وتبكي حين القاها
نذيب الصخر بالزفرات نسكب دمعنا آها
وبعد سنين غيبتنا أضعنا فيه أحلاها
وقد ظنت طويل الهجر ينسيني فأنساها
أطلت في متاهاتي لتحبيّ بعض موتاها
تلاقينا بدفء الشوق ينبض في حناياها
تعانقنا كرمش العين أطبق في زواياها
تصافحنا تعاتبنا كثيرا بعد رؤياها
نغالب دمعة حرّى على الخدين مجراها
ونار الشوق في كفي كتيار بيمناها
اطلنا وقفة أحيت لنا الحب الذي تاها
واذكت في مشاعرنا هوى الدنيا ومعناها
فهل تحنو معذبتي وتصفح عن ضحاياها
اذا ما جئت معتذرا لنفسي عن خطاياها
فضعف النفس مولاتي مزيج من سجاياها

اذا الدنيا باجمعها تعرّت من خطاياهـا
اعاد الحب عفتهـا بثوب الطهـر غطاها
تعاهدنا على اللقيـا ولم اظفر بلقياهـا
ولم تبرح مخيلتي واضحى القلب سكناها
أهيم بنور طلعتها وأسكر مـن محياهـا
أنا ضيّعت مولاتي فاسأل عفـو مولاها

مايو ١٩٦٥

مفتاح السر *

يا أغلى كنز في ارض حبلى بالمعدن والبترول
يعبرها طولا نهر النيل
يغمرها طمياً في الشطآن وعبر سهول
زرعاً ونخيل
يتدفق خيرا ، يروي جدب الارض البور
في بلد تبلغ رقعته مليون الميل
ينتظر الغيث ويشرب من بئر مجهول
مفتاح السر الكامن في اعماق الجيل

---

* نظمت هذه القصيدة بعد تشريد الضباط الاحرار في (جوبا) والاشارة هنا للرائد آنذاك فاروق عثمان حمد الله وقد عاصرت ميلاد هذا التنظيم بعد ثورة اكتوبر في نادي الضباط ومعسكر الشجرة مع الضباط الاحرار : النميري والرشيد نور الدين وفاروق عثمان وهاشم العطا وخالد حسن عباس حتى سمعنا اول صرخاته في وثيقة جوبا الشهيرة .

يتقطر كالأمل المعسول
يا أحلى حلم اصبح تحت وسادتنا مقتول
ايقظني صوت الصفوة في اعماق الليل
انطقني صمتك حين الصمت العاقل اضحى خير دليل
اطربني غضبك يوم حملت بصدق الثائر غضب الجيل
جيل التوراة ... وجيل المصحف ... والانجيل
مفتاح السر « وسر الليل »
اتذكر في قسماتك كل طموح الجيل
ايام النفي ... وحبل المشنقة المفتول
وصرير القيد ... وصمت الحائط ... والتنكيل
سنوات التيه بقلب الغابة حين فقدنا كل سبيل
في عنف الموت مشيت على أعلى قدمين
مرفوع الحاجب ... والعينين
ونظيف الياقة والكفين
بذرت التربة ، ادمى كفك شوك التين
اقدامك خاضت وحل الطين
يا فجر خلاص المسحوقين
يا ضوء نهار المكفوفين
يا نور رجاء المنكوبين

فجرت الحس بكل عطاء المحرومين
في عقر الدار
لملمت الشارع تحت جناحك كالاعصار
اطبقت جفونك طول الليل ... وفي اصرار
لم تغمض جفنك حتى جاءك ضوء الفجر مع الاحرار
اطلقت حناجرنا اشعار
عانقت جماعات الثوار
يا وهج الصدق العالق فوق لهيب النار
يا أغلى كنز تحت الارض بقيت لنا أغلى تذكار
مزقت الزيف ... وجوه العار
غنيت بصدق لما كنت تسير بعنف نحو الموت
اطربني وقع خطاك على الصخر المنحوت
فوق الانقاض ... بقايا قصر للكهنوت
خطواتك كالغضب المكبوت
وحملت المدفع والتابوت
في فجر الثورة ... في نعش من ورق التوت
في صيحة فرح انطلقت في قلب الليل
كصوت السيل
صهيل الخيل

كريح الثورة عند الفجر على الطرقات
ايقظت النسوة والاطفال... شيوخ القريةبالعشرات
حركت الشارع والحارات
اطلقت زغاريد الفتيات
يا حقد العصر الكامن في كل الطبقات
يا صدرا يغلي بالثورات

فبراير ١٩٦٦

تحيّة الثوّار

« الى أخ الكفاح الثائر ... القائد نميري ورفاقه الابطال »

لك من قلبي اغنى يا « نميري »
يا نداء هز في الصبح ضميري
يا أخا المجد الذي انقذنا
بعد يأس شل اعماق الشعور
يا أخا الفجر الذي عانقنا
قد بعثنا فيه من ليل القبور
يا أخا الجرح الذي لازمنا
خمس سنوات باحساس مرير
يا أخا الاحرار ... يا قائدنا
يا خلاص الشعب يا نعم النصير
هذه الثورة هبت فانطلق
وانقذ السودان من سوء المصير

« وفي لحظة تداعي حر انسابت هذه الابيات عفو الخاطر بعثت بها الى الاذاعة صبيحة الثورة فكانت اول تهنئة بالشعر تقدمها الاذاعة عقب انتصار الثورة » .

ثورة مايو

المجد للمستشهدين بكل ساحات القتال
دفقوا على وجه التراب دماءهم ثمن النضال
وتوسدوا شرف البطولة رمز تضحية الرجال
رفعوا منارة مجدنا قمرا على قمم الجبال
وتوشحوا بالنصر بالقيم المضيئة بالجمال

. . . .

مايو يدق جدارنا للضوء فافتح يا قدر
واستقبل الفجر الجديد يموج في احلى صور
عادوا لنا في الصبح يا مايو مع الفجر الأغر
يتأبطون مصيرهم بخطى يعانقها الظفر
وعيونهم مقروحة الاجفان اعياها السهر
وصدورهم لهب المجامر حين تقدح بالشرر
المجد يا وطني لشعبك يوم ناضل فانتصر

. . . .

الضوء وشح غابة الخرطوم في وضح النهار
فضح الطغاة منكسين رؤوسهم خزيا وعار

مترددين اصابهم من ثورة البعث الدوار
والثورة انطلقت تعانق شعبنا في كل دار
والشعب في فرح الطفولة عاش فجر الانتصار

. . .

قد عدت يا اكتوبر المصلوب فوق جدارنا
يا نغمة مشدودة بالصدق في اوتارنا
ممزوجة بتلاحم الثورات في اشعارنا
قد عدت حيًّا نابضا متوشحا بشعارنا
مترسما خطوات مايو في ربوع ديارنا

. . .

كانت هناك حياتنا لا لون فيها لا طعم
مسخا من القيم المريضة والجهالة والألم
والشعب في صبر يكافح للحفاظ على القيم
ويدق في عنف ليفتح باب تاريخ الامم
قعدت به في سعيه سوق النخاسة بالذمم
طحنته ازمات الضياع وحطمته يد العدم

. . .

كانت قصائدنا صدى للنفس والقلب الكسير
كلماتنا مكتومة الانفاس ميتة الشعور

وحروفنا مفقوءة العينين تمشي في السطور
نامت على ليل الاسى واستيقظت في فجر نور
قد اضرمت وجدانها غضبا كألسنة السعير
واستنهضت همم الطلائع والشبيبة للمسير

. . .

طالت سنين كفاحنا لا مجد فيها لا بناء
الشعب يكدح كي يوفر كدحه للأوصياء
فبنوا القصور طوابقا وصلت الى كبد السماء
وترفعوا عن بؤسنا صاروا سلالة انبياء
وتدور في الفلك القديم كما تدور المومياء
مترددين محنطين محطمين الكبرياء
العصر يقفز حولنا ونظل نمشي للوراء
المجد يا شعبي لمن غسلوا ترابك بالدماء

. . .

الثورة اختصرت طريق النصر قرنا من زمان
قد غيرت وجه الطبيعة والمعالم والمكان
والنيل في جريانه غنى عليه الشاطئان
وتكشفت عن افقنا سحب المذلة والهوان
والشمس ترسل ضوءها بالدفء ينبض والحنان

غنيت يا شعبي لكل مناضل حر سجين
غنيت للمكتل التي خرجت الى الدرب الحزين
زحفت على كل الشوارع بالشمال وباليمين
فكتّت يداً مغلولة ظلت على مر السنين
قد أفلتت في زحفها من قبضة المستوزرين
كسرت قيود مسيرة الشرفاء للنصر المبين

. . .

خرجت الى أفق الحياة الشمس قانية الوشاح
مالت تبارك ثورة ولدت مع دفء الصباح
رضعت لبان نضالنا وتشرّبت عرق الكفاح
جمعت خيام اللاجئين على السهول وبالبطاح
عادت بهم بصغارهم يتراقصون بكل ساح
دقت على ابوابنا كف الطلائع بالسلاح
وتصافحت وتعانقت وتلاحمت مثل الرياح

. . .

المجد يا شعبي لمن دفعوا اليك بلا حساب
بذلوا الدماء رخيصة من اجل توحيد التراب
وتلاحم الجيش الفتيّ مع الطلائع والشباب

وقفوا امـام تسلـل المتآمريـن بكل بـاب
فتقهقروا متراجعين الى المخابـىء والخـراب .

٢٨ مايو ١٩٦٩

(١)

المقاومة

احدثكم احبائي :
من المكتب ..... للمكتب
انا انقاض ساقية تدور بثورها الاحدب
أنا طاحونة الموتى .. تآكل حجرها المتعب
أنا بئر الندى تعطي بلا من ولا تنضب
وخد يقبل الصفعات في صمت ولا يعتب
أتسألني اقول الحق لا تغضب
أقول لكم : ..... أنا متعب

احدثكم احبائي :
فبعد شهادة التخريج قذفوني الى الشارع
الى جمهورنا المصلوب تحت الشمس مثل الحجر القاطع
اداوي غصة المظلوم ... اروي معدة الجائع
احقن في سرير الموت جثة شعبنا الضائع

أخدر حسه الشفاف أطفىء لونه الفاقع
وأخفي عن عيون الناس سر مصيره الفاجع
أتسألني اقول الحق .... لا تغضب
اقول لكم : ... انا ضائع
احدثكم احبائي :
وعند الصبح احمل بعض اشيائي
الى المكتب
تقابلني صفوف الناس تسنـــد ظهرها ــ في الظل ــ
تحت الحائط الاجرب
فلا تعجب
اذا بدأت صفوف الناس كالمأتم
وقد شخصت بابصار من الاعياء تتألم
وقد ضاقت بها الحجرات كالصندوق تحت غطائه المحكم
انا وحدي حبيس الدار .....
يرهقني عزاء الناس في المأتم
الاقيهم بفاتحة ... بآيات من القرآن ... بالبلسم
وقد نفذت لفافاتي واشرطتي
ولم تنفع وريقاتي وادويتي
اذا ضجرت ... اذا غضبت وصار الهمس يتكلم

فويل الكاهن الاعظم
فان الشعب لن يرحم
اذا اسرعت في التشخيص في عجل فلن يرحم
اذا ابطأت في التشخيص في صبر فلن يرحم
فان الصف يتقدم
وان الوقت يتقدم
واعصابي كنافذة امام الريح تتحطم
اتسألني اقول الحق ... لا اعلم
فأنسانيتي ذبحت على اعتاب رؤسائي
كما اغتيلت باحشائي
اقاموا متحفا للطب من جرحي واشلائي
ومن اعصاب زملائي
« وشرف المهنة » المصلوب تحت لسان اعدائي
صليب يثقل الكفين يرهقني باعبائي
ساحمله لابنائي
فقدر الطب في بلدي خرافي وعشوائي
احدثكم احبائي :
احدثكم عن السودان
ارض التيه ... غاب الصمت والاحزان

وأدمن شعبه المغلوب في ازماته النسيان
ليعلن اننا شجعان
احدثكم عن الدجال والعراف والكهان
بنوا في ارضنا هرما من الصدقات والاحسان
وما زالت قوافلناتزور ضرائح الغفران
وتسرق لقمة المحروم والمحزون والجوعان
لتبني قبة الامجاد
ويدفع شعبنا بسخائه المعروف « للاسياد »
ويسجد عن طواعية يبارك قسوة الجلاد
يكذبنا اذا قلنا له : قد فاتك الميعاد
بحار الصحو قد غسلت شواطئنا من الاحقاد
رفعنا في شوارعنا هنالك زينة الميلاد
هدايانا الى الاحفاد
احدثكم عن الانسان :
يشتمني ... وينعتني بكل العار والخزلان
ويرميني باشياء تغص الخلق بالغثيان
يلاحقني بكل مكان
وينسى انني انسان

واني صورة للعجز ـ ان وجدت ـ بكل خريطة السودان
أتسألني اقول الحق لا تغضب
الا ما اضيع الانسان في السودان
قد ضاعت هويته بلا اسم ولا عنوان .

١٠ مايو ١٩٦٩

— ٨٧ —

(٢)

مَطَارِقُ الغَضَبْ

أزف اليك حقد الناس لو عجزوا عن التصريح
ولو سكتوا ــ بفعل الخوف ــ
عن ادراك كل صحيح
ولو شلت مداركهم عن الافصاح والتوضيح
لان الناس عند الحق كالغرباء نهب الريح
وعند الرأي : كالمخصي لا يقوى على التلقيح
واكبرنا .. واشجعنا ... واقوانا يخاف مجرد التلميح
فهذا العصر .. عصر الزيف .. عصر الغمز والتجريح
ازف اليك يا سندي ... ويا مولاي ....
يا مأساة كل طريح
خبرنا قسوة المأساة قلبا داميا وجريح
وعشناها بروح مسيح
ادرنا خدنا الأيسر
وقد سقطت عمامتنا بعنف الضرب والتبريح

وقد سقطت رجولتنا
لأن رجولة الانسان... ساعة يرفض الاذلال والتجريح
يقول الحق .. كل الحق .. معتدا به وصريح
تعرينا من الاخلاق حتى العظم
وانكرنا فضائلنا ... تمسكنا بكل قبيح
لان صراعنا في الاصل ... حول الظل ..
حول مواقع الترويح
وحول عبادة الافراد .. ظل الله .. دون ضريح
أتدرون الذي نلناه بعد الصبر قبضة ريح
اخاف على طموح الجيل يخسر كفة الترجيح
لأن الوعي في بلدي كحشرجة بصدر ذبيح
لأن العصر ... هذا العصر .. عصر الغمز والتجريح

١٨ مايو ١٩٦٩

(٣)

النبوءة والسقوط

(١) مرثيـة

كنا ضحكنا عندما قالوا لنا : كيف الصمود ؟
شمخوا بانف غاضب كطوابق القصر العتيد
كنا عبيد
من يرفع العين الغبية فوق حاجبه البليد !
ماذا نرى .. وأمامنا أعلى جدار من جليد
كنا شخوص رواية في مسرح الفن العبيط
كنا كحيتان المحيط
كنا نمثل قاع افكار السقوط
فالبحر يغري بالصعود وبالهبوط ـ
ذر الرماد على العيون
ما كان بالشيء الجديد
كنا تعودنا على أقوالهم
كانوا حثالات تخدر حسنا الشفاف من امثالهم

لكنما النبأ السعيد
لكنما الشيء الجديد
قد جاءنا من عطبره
في يوم معركة الصمود
انا قد ولدت على ضفاف العطبره
اولى المدائن في طريق المعركه
ارض الشهيد
ومدينة (النار والحديد)
قد علمتنا قسوة العيش الصمود
في وجه طاغية عنيد
الطفل يولد كارها
ويموت غضاً فارها
في حر ايام النضال
في المهد يلتقط السعال

(٢) الصمـــود

ايام (سلام وقاسم) [١]
في زمان جماعة قد ألهبت ظهر المحاكم
انا جئت نبضا ثائرا في عرق أمتنا يقاوم
قد جئت طفلا شاحب القسمات مجتدا وصارم
ومنذ ان فارقت ــ طفلا ــ بطن امي جئت نادم
ولقد حبوت ... وقد مشيت .. وقد نطقت
وقد تركت بكل منعطف معالم
من قصة الجيل الذي ما زال في صبر يقاوم
لم أمجد في حياتي اسم حاكم
لم اقف بالشعر ممتدحا به سلطان حاكم
لم اقف في حضرة الزعماء التقط الدراهم
او أحوم على الولائم
لم اكن يوما من الايام في شعري مسالم
كان شعري جذوة تجتث اعماق الجرائم
كان دقاق طبول ايقظت في الليل حالم

---

(١) نقابيان من قادة الحركة العمالية في عطبره في بداية الاربعينيات

كان يقتسم الغنائم
كان شعري من لهيب النار حارق
كان حبلا في المشانق
قد تدلى منه سفاح منافق
اخرس الشهوات مفضوح مراهق
كان سارق
اي رجل لم يكن بالأمس سارق
كان كل العهد ســـارق .

٢٥ يونيو ١٩٦٩

الله ... واللهيب

امام الله ... والتاريخ ... والانسان
امام الله قد سقطت حضارتنا بكل قداسة الاديان
بكل كرامة الانسان
بكل خرافة الأمجاد والسلطان
أريقت في تراب القدس واتنهكوا شعائرنا
وجاءت «فتح» بعد مواتنا جبراً لخاطرنا
وتمشي في لهيب النار ..
حارقة كطعم الثار ..
جرحا في حناجرنا
فوشحنا بروح الثار من يفدي مصائرنا
خرجنا من مواقعنا
خرجنا نحن والاطفال نبتاً من مزارعنا
دخانا من مصانعنا
لهيبا من مدافعنا
شظايا من حريق القدس تهطل في شوارعنا
غسلنا في حريق المسجد الاقصى ضمائرنا

غمسنا في مجامره سرائرنا
وقفنا وقفة عقدت على عهد خناصرنا
ووحّدنا نزيف الجرح ..
اغمد حدة السكين غمداً في مشاعرنا
كما اتحدت مواقفنا
أجل ... من روعة الاجماع قد شربت عواطفنا
قد ارتفعت امام المسجد الاقصى مصاحفنا
رفضنا قسوة الطغيان
وجاءت « فتح » ترفع هامة الانسان
شعار كرامة الانسان
شعار الصبر والايمان
شعار النصر في سيناء والجولان
تساقطنا جماعات على النيران
تذيب العظم والشريان
تهد القبة الخضراء .... والجدران
توقفنا عن الدوران
أفقنا من برودتنا .. وعاد النبض للخفقان
يغذي الرأس والقدمين
لهيب النار يأكل ثالث الحرمين

امام الله والانسان
تلاقينا بلا موعد
فراشات هوت في النار قربانا على المسجد
واجساما رفعناها ضحايانا على الموقد
فكن يا حائط المبكى شرارات من الاعصار
وكن يا حصن اسرائيل آيات لنا ... تذكار
وكن بالمسجد الاقصى براكين من الاحجار
وكن رمزا من الاصرار
فلن يستسلم الثوار
ولن يتوقف التيار
مشينا خطوة اولى لنقطع آخر المشوار

اغسطس ١٩٦٩

مايو والاطفال